أقباط مصر في عصر الحروب الصليبية
(١٠٩٥-١٢٩١م/٤٩٠-٦٩٠هـ)

دكتورة
هويدا محمد بنيرة
مدرس بكلية الآداب – جامعة دمياط

الملخص

لا يمكن أن يأتي ذكر الحملات الصليبية التي تعرض لها الشرق الإسلامي منذ أواخر القرن ١١م وحتى أواخر القرن ١٣م (١٠٩٦-١٢٩١م/٤٩٠-٦٩٠هـ) دون أن نتعرض لموقف أقباط مصر من هذه الحروب الصليبية التي حمل المشتركون فيها رايات الصليب، فقد أدرك أقباط مصر حقيقة الحركة الصليبية، وناضلوا ضد هؤلاء المحتلين وشاركوا المسلمين في الكفاح ضد الصليبيين في نفس الوقت الذي كان فيه الصليبيون يكرهون القبط، بسبب الخلاف الديني والمذهبي بينهما بعد رفض الكنيسة المصرية قرارات مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م وإعلان انفصالها عن كنيستي روما والقسطنطينية، لقد عاش القبط مع المسلمين في وطنهم مصر، وواجهوا معا الحملات الصليبية وأثبتوا مدى وطنيتهم واحتفظوا لأنفسهم بمراكز مهمة في الحكومة ونالوا ثقة حكام مصر الذين عاملوهم بالتسامح والاعتدال والاحترام وساهموا بجهد كبير في التصدي لخطر الصليبيين، وإفشال الحملات الصليبية على مصر، وعاشوا كما عاش إخوانهم المسلمون متحددين معا من أجل وطنهم مصر

تمثل الحملات الصليبية[١] موقفاً صعبا بالنسبة للأقباط في مصر فقد اتهمت بعض المصادر الأقباط بمساعدة الصليبيين أو التخابر معهم، بينما كان الأقباط في الحقيقة شديدي الحرص على أن يكونوا محايدين بل متعاونين في أحيان كثيرة مع المسلمين، فالأقباط والمسلمون عنصران في بلد واحد، أما الصليبيون فكانوا غرباء وغزاة، لذا فقد وقف الأقباط مع نسيجهم الوطني ضد جيوش الصليبيين صامدين، ويعد موقف الأقباط تجاه الحروب الصليبية على مصر نموذجا واضحا للاتحاد والاندماج الكامل في النسيج المصري، ويؤكد بعض المؤرخين أن مقاومة الغزو الصليبي على مصر لم تقتصر على العامة من الأقباط فحسب بل على رجال الدين المسيحي الذين حرصوا على الجهاد ضد الصليبيين ومساعدة المسلمين في التصدى لهم[٢].

فالأقباط جزء لا يتجزأ من المجتمع المصري خلال عصوره المختلفة، وتاريخ مصر هو تاريخ الأقباط، وتاريخ الأقباط ليس تاريخا دينياً فحسب ولكنه أيضا وطنيا بالدرجة الأولى فالأقباط هم أصل الحضارة المصرية وكل قبطي هو مصري، ولفظة إيجيبتوسAigyptus اليونانية مركبة من كلمتين " إي" بمعنى أرض أو دار، وجيبتوس وتعنى القبط فيكون معناها بالكامل" أرض القبط أو دار القبط"[٣]، والقبطي حرفيا تعنى المصرى، Coptus باللاتينية وCoptic بالإنجليزية.

ولا يمكن أن يأتي ذكر الحملات الصليبية التي تعرض لها الشرق الإسلامي منذ أواخر القرن ١١م وحتى أواخر القرن ١٣م (١٠٩٦-١٢٩١م/٤٩٠-٦٩٠هـ) دون أن نتعرض لموقف الأقباط في مصر من هذه الحروب، ومن يزعم أن هذه الحروب كانت ضد كل ما هو إسلامي فهو تنقصه الدقة التاريخية، فعندما رفع الصليبيون رايات الصليب واتجهوا نحو الشرق لم يواجهوا مسلمي هذه الأراضي فحسب وإنما حاربوا مسيحييها أيضا، وناضل المسيحيون في الشام ومصر ضد هؤلاء الغزاة وأثبتوا فشل الحملات الصليبية في الإخلال بالتوازن الدقيق بين المسلمين والأقباط في مصر ليخرج الأقباط من الحروب الصليبية على قدر كبير من الوطنية[٤].

لقد ازدهرت الكنيسة القبطية وظلت مصر المسيحية قوية بعد الفتح العربي (٦٤١م/٢١هـ)، وذلك بسبب الوضع الخاص الذي تمتع به الأقباط فقد أوصى النبي بحسن معاملة الأقباط " لأنهم جيرانا ونسباء"[٥]

ووجد عمرو بن العاص في القبط من أهل مصر خير معين فكانوا يساعدون العرب ويمدونهم طوال سيرهم من العريش حتى فتحوا حصن بابليون" بالمؤن والعلوفة وغيرها"[٦] وكما يذكر ابن عبد الحكم المصري:" إن القبط أصلحوا لهم الطرق والجسور والأسواق طوال خط سيرهم حتى وصولهم إلى الإسكندرية"[٧].

وتكاد تجمع المصادر المعاصرة على ترحيب الأقباط بالفتح الإسلامي ومساعدتهم لجنود عمرو بن العاص[٨] بالإضافة إلى تشجيع رجال الدين المسيحي في مصر، والتي كانت خطتهم تهدف إلى مؤازرة العرب[٩]، ويؤكد ذلك المؤرخون الأقباط أنفسهم مثل المؤرخ حنا النقيوسي حين تكلم عن استيلاء العرب على الفيوم قال" وهنا بدأوا يبذلون المساعدة للمسلمين"[١٠]، ويقول المؤرخ سعيد بن البطريق " لقد صار القبط أعوانا للمسلمين على قتال الروم"[١١]

لقد حارب القبط بجانب العرب وكانوا يقاتلون الروم كما يؤكد ذلك المؤرخ يوسابيوس القيصري بقوله" لقد دعم القبط عملية الفتح الإسلامي"[١٢]، وساعدوا المسلمين في دخول مصر، وحاربوا البيزنطيين الذين اعتبروهم دخلاء على مصر لا شغل لهم إلا استنزاف ثروات ودماء المصريين، وتنفس الشعب المصري الصعداء برحيل الجيش البيزنطي من أرض مصر[١٣]، وتحدد مركز مصر السياسي بمقتضي معاهدة بابليون الأولى سنة ٦٤١م/٢١هـ، وأورد لنا المؤرخون مثل الطبري، وابن خلدون، والقلقشندي، وأبو المحاسن نص هذا الصلح:" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وبرهم وبحرهم"[١٤]

لقد رأي عمرو بن العاص أن صاحب الدار أدرى بما فيها فاستعان بأهل مصر من القبط في تنظيم الحكومة والإدارة وقسم البلاد إلى أقسام يرأس كل منها حاكم قبطي له اختصاصات وحدود معينة وعين قضاة من القبط كانوا يحكمون وفقاً لشرائعهم الدينية فمنحهم نوعا من الحرية والاستقلال المدني وهي ميزة كانوا قد جردوا منها أيام الدولة البيزنطية[١٥]، وعندما شرع عمرو بن العاص في بناء مدينة الفسطاط كان القبط من أهم العاملين على عمارتها فشيدوا بها الدور والكنائس والأديرة وبذلوا النفس والنفيس في تشييد الفسطاط[١٦].

وكانت سائر الأعمال الكتابية والحسابية تجرى باللغة القبطية كما استدعى البطريرك بنيامين[١٧]، وصار من المقربين له وكان يأخذ مشورته في بعض الأمور الهامة المتعلقة

بالبلاد[١٨]، وهكذا استطاع عمرو بن العاص أن يؤلف بين القبط والمسلمين بعد أن أطلق لهم حرية العقيدة الدينية وأمنهم على أنفسهم وأموالهم ونسائهم[١٩].

والواقع أن سياسة عدم الإكراه في الدين هي سياسة إنسانية استمالت قلوب الأقباط وجعلتهم يفضلون العيش في ظل الحكم الإسلامي دون أن يفرض عليهم اعتناق دين بالقوة في زمن انتشر فيه إكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم[٢٠]، ومهما قيل عن معاناة الأقباط من حين لآخر أو تعرضهم لاضطهاد بعض الولاة، فقد كانت حالات استثنائية وليست قاعدة عامة، وفي بعض الأحيان عندما كان بعض الولاة يستخدمون القسوة في جباية الضرائب أو يتعسفون مع الأقباط كان الخلفاء يقومون بعزل هؤلاء الولاة.

وفي ظل الصراع بين علي بن أبي طالب والأمويين التزم الأقباط في مصر بالهدوء والسكينة والحياد ولم يخطر على بالهم أبداً، شق عصا الطاعة والتخلص من حكم العرب ولو أرادوا ذلك لتمكنوا بسبب ما كانت تعاني منه الدولة العربية من الفوضي والانقسام ولكنهم آثروا الاستمرار بالتمسك بالمعاهدة التي أبرمت بينهم وبين عمرو بن العاص حين فتح مصر[٢١].

وفي عهد الدولة الأموية (٦٦١-٧٥٠م/٤١-١٣٢هـ) كان القبط هم أهل البلاد وأصحاب الثروة والاقتصاد أما العرب فكان معظمهم من الجند المحافظين على الأمن وسلامة البلاد واستعمل الخلفاء الأمويون موظفين وعمال من الأقباط، وابتداء من عهد الدولة الأموية بدأ العرب يقدمون إلى مصر، وعاشروا الأقباط واختلطوا بهم[٢٢]، وولى مصر في عهد الأمويين رجال عرفوا بالكفاءة وحسن السياسة ونشر العدل واتبعوا سياسة التسامح مع القبط مثل مسلمة بن مخلد الأنصاري (٦٦٥-٦٨٢م/٤٧-٦٣هـ) [٢٣] وكذلك عبد العزيز بن مروان (٦٨٤-٧٠٥م/٦٥-٨٥هـ) كان من أحسن الولاة الأمويين، واستطاع أن يؤلف بين قلوب المصريين جميعا على اختلاف طبقاتهم وتباين ديانتهم وأظهر المودة واللين لهم[٢٤]، واتخذ ديرا في حلوان مقرا لإقامته[٢٥].

وبعد تعريب الدواوين أيام الخليفة عبد الملك بن مروان(٦٤٦-٧٠٥م/٢٦-٨٦هـ)، أخذ القبط يقبلون على دراسة اللغة العربية[٢٦]،وكذلك قام الخليفة عمر بن عبد العزيز(٦٨١-٧٢٠م/٦١-١٠١هـ) بإلغاء الجزية عن الرهبان والقساوسة[٢٧]، وفي العصر الأموي ساهم العمال والصناع القبط في بناء الأسطول الإسلامي، كما أقاموا دار الصناعة بالإسكندرية[٢٨]، وهكذا يمكن القول أن القبط نعموا بالهدوء والسكينة في عهد الدولة الأموية[٢٩]

لم تكن علاقة الدولة العباسية(٧٥٠-١٢٥٨م/١٣٢-٦٥٦هـ) بالقبط سيئة لكن بُعد المسافة بين مصر والعراق، وقصر مدة حكم بعض الولاة كان سببا في تعسف بعضهم في معاملة القبط واستخدام الشدة في جمع الضرائب[٣٠]، ولكن كثيرا ما تدخل الخلفاء العباسيون لرفع المظالم عنهم مثلما حدث أيام الخليفة المأمون (٨١٤-٨٣٣م/١٩٨-٢١٨هـ) حين عزل واليه على مصر عيسي بن منصور(٨٣١-٨٣٢م/٢١٦-٢١٤هـ) [٣١]، وقدم المأمون بنفسه إلى مصر وذهب لمقابلة البطريرك يوساب[٣٢] وأعطاه فرمانا بخط يده بإقراره رئيسا عاما روحانيا على الأمة القبطية[٣٣].

وفي عهد الخليفة المعتز (٨٦٦-٨٦٩م/٢٥٢-٢٥٥هـ) وفد اثنان من كبار القبط إلى بلاط الخليفة في بغداد وهما ساويرس، وإبراهيم وسلماه رسالة من البطريرك يشكوا إليه ظلم صاحب الخراج أحمد بن المدبر[٣٤]، فأصدر الخليفة أمراً بإعفاء الرهبان وسائر خدمة الدين المسيحي من الجزية وتخفيفها على القبط وإعفاء الكنائس والأديرة من الضرائب[٣٥].

أسهم الأقباط في العصر العباسي بدور كبير في التطور العلمي، ونشطت حركة ترجمة الكتب من اليونانية والقبطية إلى اللغة العربية[٣٦] كذلك استعان الخليفة العباسي المعتصم(٨٣٣-٨٤٢م/٢١٨-٢٢٧هـ) بالصناع والبنائين والفنانين القبط في بناء مدينة سامراء[٣٧]، وازدهرت في العصر العباسي صناعة المنسوجات على يد عمال ماهرين من القبط، وقامت دور الطرز في مصر بإنتاج الأنواع الممتازة للخلفاء العباسيين والبلاط في بغداد[٣٨] كما عثر على قطع منسوجات صنعت في مصر، وكتب عليها أسماء الخلفاء العباسيين مثل المهدي وهارون الرشيد، وابنه الخليفة الأمين[٣٩]

وتمتع الأقباط أيام الدولتين الطولونية (٨٦٨-٩٠٥م/٢٥٤-٣٠٣هـ) والإخشيدية (٩٣٥-٩٦٩م/٣٢٣-٣٥٨هـ) بالتسامح ولم يحدث ما يعكر الصفو بين المسلمين والأقباط وسادت روح المودة بين الجانبين[٤٠]، وساوى أحمد بن طولون (٨٦٨-٨٨٣م/ ٢٥٤-٢٧٠هـ) [٤١] بين المسلمين والقبط في دفع الضرائب وألغى المكوس التي فرضها أحمد بن المدبر[٤٢]، وتحسنت أحوال القبط في عهده واشتغلوا في دواوين الحكومة والإدارة المالية[٤٣] واشرفوا على المشاريع العمرانية وبناء القناطر والمشروعات الزراعية وسمح لهم ابن طولون ببناء الكنائس والأديرة[٤٤]،وقرب إليه مجموعة من الأقباط فكان له عدد من الحجاب[٤٥] الأقباط منهم أبو الأسود بن بك الفرغاني[٤٦]واستعان ابن طولون بمهندس قبطي هو سعيد ابن كاتب الفرغاني[٤٧]

في بناء مسجده وقصره الضخم، والذي استخدم في بنائه لأول مرة عناصر معمارية جديدة فقد بُنيت الأعمدة من الآجر بدلا من الأعمدة الحجرية التي كانت تنتزع من الآثار القديمة وهو أول بناء استعمل فيه العقد المنفوخ(المخموس) مما يدل على مهارة القبط في فن البناء والعمارة[٤٨]. وأعجب ابن طولون بمهارة هذا المهندس، وطلب منه أن يبني له خزانا يوصل مياه النيل إلى مدينة (القطائع) [٤٩].

واتخذ ابن طولون كتابا من القبط فكان له كاتبان مقربان أحدهما اسمه يوحنا والآخر إبراهيم كذلك اتخذ له أطباء من الأقباط مثل سعيد بن توفيل وكان طبيبا خاصا لابن طولون[٥٠]،وامتازت الدولة الطولونية بحدوث الامتزاج البطيء بين العرب المقيمين في مصر والأقباط وبدا ذلك واضحا في عهد خمارويه (٨٨٣-٨٩٥م/٢٧٠-٢٨٢هـ).

واهتم الأخشيديون [٥١] بأحوال القبط في مصر واتسمت سياستهم بالتسامح تجاه الأقباط، واستمر الأقباط في وظائفهم في دواوين الحكومة والإدارة المالية نظرا لخبرتهم الطويلة في هذا الميدان، وحفظت لنا النصوص أسماء بعضهم مثل أبو اليمن قزمان بن مينا القبطي[٥٢]، والكاتب القبطي عيسي بن بقطر بن شفاء، وإبراهيم بن مروان، وجرير بن الحصان

كان للقبط في العصر الأخشيدي محاكمهم الكنسية الخاصة بهم، واحتفظوا بلغتهم القبطية، ولم يتركوها إلا في نهاية القرن العاشر الميلادي /الرابع الهجري [٥٣]، وكان من أبرز الكتاب القبط في العصر الإخشيدي سعيد بن البطريق[٥٤] الذي ترجم كتاب الحيوان لأرسطو.

وكانت العلاقات بين المسلمين والأقباط طيبة، واشترك الإخشيديون بصفتهم الشخصية في الأعياد المسيحية وزار المسعودي مصر في عهد محمد بن طغج الإخشيد ووصف لنا ليلة الغطاس بقوله:" أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا"، وذكر المسعودي أن الإخشيد شهد بنفسه تلك الليلة وأمر بإشعال ألف مشعل من الشمع[٥٥]،كذلك احتفل المصريون في العصر الإخشيدي بعيد الميلاد وخميس العهد(خميس العدس) كما تقول العامة[٥٦].

وهناك من يدعى أن الفاطميين مع بداية الحروب الصليبية شعروا بالشك تجاه مسيحيي مصر، ولم يأمنوا جانبهم معتقدين أنهم قد يساعدون أبناء دينهم الصليبيين خلال لحظات اشتعال القتال، فاثقلوهم بالضرائب الباهظة وألحقوا بهم صنوف شتي من الاضطهاد[٥٧]، ويمكن الرد على ذلك بأن أقباط مصر رفضوا تماما التعاون مع الصليبيين وأعلنوا أن الحملات الصليبية لا تعرف من الصليب سوى شكله، كما أن الصليبيين أنفسهم كانوا ينظرون إلى القبط بكثير

من الريبة والشك، وعاملوهم منذ البداية معاملة سيئة فقد كان الخلاف الديني والمذهبي بين الفريقين عميقا والهوة بينهما كانت واسعة[٥٨]، واتخذ الخلاف المذهبي بينهما شكلا قوميا وأطلق مسيحيو مصر على أنفسهم اسم "الارثوذكس" وتعني "أصحاب العقيدة الصحيحة" ، بعد أن أحدث مجمع خلقدونية إنشقاقا كبيرا بين الكنيسة المصرية وكنائس روما والقسطنطينية، وأدرك الأقباط أن مجمع خلقدونية كان مجرد مؤامرة من الكنائس الغربية لعزل الكنيسة المصرية لرفضها الخضوع السياسي[٥٩].

في الحقيقة لم يتعاطف الأقباط مع أولئك المعتدين حاملي الصليب على صدورهم في نفس الوقت كان الصليبيون ينظرون إلى الأقباط أصحاب الطبيعة الواحدة بأنهم منشقون وخوارج وهراطقة لذلك عندما احتل الصليبيون بيت المقدس عام ١٠٩٩م/٤٩٤هـ منعوا الأقباط من الحج إلى هذه المدينة بدعوى أنهم ملحدون، وقاموا بتحويل الكنائس في بيت المقدس إلى كنائس لاتينية كما يقول المؤرخ لم "يكن حزن الأقباط باحتلال بيت المقدس بأقل من المسلمين فبأي حق يمنع الصليبيون الأقباط من الحج إلى بيت المقدس أو الاقتراب من المدينة " حقا إن الصليبيين يكرهوننا"[٦٠].

لا ريب أن عصر الدولة الفاطمية في مصر كان عصر هدوء وسلام وسكينة بالنسبة للأقباط، الذين تمتعوا بالاستقرار والتسامح، ففي العصر الفاطمي احتفل الأقباط بأعيادهم في الشوارع مع أخوانهم المسلمين، واتخذت تلك الأعياد طابعا شبه قومي واعتبرها الخلفاء الفاطميون احتفالات رسمية[٦١]

وخلاصة القول أن العصر الفاطمي يعتبر من أفضل العصور الإسلامية بالنسبة للأقباط الذين تمتعوا بقدر كبير من الحرية في ممارسة العبادة ومارسوا العديد من الأنشطة وتولوا المناصب الكبرى في الدولة[٦٢] وبرز منهم العديد من الشخصيات الهامة مثل المؤرخ والكاتب القديس ساويرس بن المقفع[٦٣]

في الحقيقة حاول الصليبيون أن يستميلوا إليهم مسيحي الشام ومصر إلا أنهم فشلوا لأسباب كثيرة منها وجود كراهية متبادلة بين الجانبين، بالإضافة إلى إصرار القبط على رفض إقامة أي نوع من العلاقة مع الصليبيين أو التعامل معهم وفضلوا التمسك بروابط التاريخ واللغة والجنس المشترك مع المسلمين[٦٤]، لقد كانت الحروب الصليبية تمثل تحديا تاريخيا كبيرا

فرض على الأقباط إلا أنهم اثبتوا مدى وطنيتهم فاحتفظوا لأنفسهم بمركز مهم في الحكومة ونالوا ثقة الخلفاء الذين عاملوهم بالتسامح والاعتدال والاحترام.

وأدرك الأيوبيون أهمية القبط في خدمة الحكومة والوطن وقدروهم حق قدرهم ولم يصب الأقباط في أيام الدولة الأيوبية بضرر، وربما نالهم بعض الضرر من الفرنج أنفسهم الذين ادعوا أن القصد من حروبهم الصليبية حماية الدين المسيحي والمسيحيين(٦٥)، واتسم عهد صلاح الدين الأيوبي بالاستقرار والعدالة فأحبه المصريون جميعا أقباط ومسلمون واخلصوا له، وأدرك صلاح الدين كفاءة الأقباط وقدرتهم وأنهم لا يمثلون خطرا عليه كزعيم بل قام المسيحيون بدور هام في تثبيت دعائم الحكم الأيوبي في مصر، واعتمدت عليهم الدولة الأيوبية في إدارة شئونها(٦٦)، وإن ذكرت بعض المصادر تعسف صلاح الدين مع الأقباط، وأنه افتتح عهده بطرد الموظفين الأقباط من مناصبهم فيمكن الرد على هذا الاتهام بأنه قام بحركة تطهير أجريت ضد الفاطميين خاصة وليس ضد الأقباط لقد تأكد لصلاح الدين استحالة الاستغناء عن الأقباط وعدم إمكان تسيير الأعمال بدونهم واتخذ له من الأقباط كاتبا وأمينا لأسراره وسماه الشيخ الرئيس صفي الدولة بن أبي المعالى(٦٧) كذلك أسند بناء قلعة صلاح الدين إلى اثنين من المهندسين الأقباط هما أبو منصور(٦٨) وأبو مشكور(٦٩).

وساهم الأقباط في تدعيم انتصارات صلاح الدين على الصليبيين(٧٠)،ورافق صلاح الدين عددا كبيرا من الأقباط في حملته على بيت المقدس بوصفهم كتابا ومهندسين وعمالا وفنيين، وأظهر صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس من أيدى الصليبيين سنة ٢ ديسمبر ١١٨٧م/٢٧ رجب ٥٨٣هـ تسامحا كبيرا مع المسيحيين(٧١) فمنحهم ديرا ملاصقا لبيت المقدس اسمه دير "السلطان"(٧٢) مكافأة لهم على مواقفهم النبيلة ضد الصليبيين(٧٣)

بعد وفاة صلاح الدين (١١٩٣م/٥٨٩هـ) أصبحت مصر هدفا للحملات الصليبية(٧٤) باعتبارها قاعدة النضال ضد الصليبيين والمركز الذي انتقلت منه حركة توحيد الصف العربي وقام الصليبيون بحملتين كبيرتين على مصر هما الحملة الصليبية الخامسة(١٢١٨-١٢٢١م/٦١٥-٦١٨هـ)(٧٥)،والحملةالصليبية السابعة(١٢٤٨-١٢٥٠م/٦٤٦-٦٤٨هـ).

وتمثل حملة جان دي برين (٧٦) على دمياط اتجاهاً جديداً لمسار الحركة الصليبية إلى مصر بدلا من الشام(٧٧)، وفي تلك الأثناء توفي الملك العادل الأيوبي، وخلفه الملك الكامل (١٢١٨-١٢٣٨م/٦١٥-٦٣٥هـ) فكان عليه مواجهة هذه الحملة وطرد الصليبيين من مصر.

أما إذا تحققنا من موقف الأقباط في مصر في تلك الأثناء فقد شعروا بالسخط على الفرنج لما علموا بما ارتكبوه من أعمال القتل والسلب والنهب لم يفرقوا في ذلك بين مسلم وقبطي، فقد استباح الصليبيون قتل الأقباط أيا كان سنهم، كما طردوا أسقف المدينة المصري، وعينوا مكانه مطرانا لاتينيا، في نفس الوقت الذي حدثت فيه اضطرابات عنيفة في القاهرة إذ ظن العامة أن الأقباط متواطئون مع الصليبيين وهو الأمر الذي لم يحدث مطلقاً، وأكده المؤرخون الشرقيون والغربيون على حد سواء، وخلال هذه الاضطرابات ضغط الديوان على القبط لدفع مبالغ باهظة للمساهمة في نفقات الحرب، كما قام بعض العامة بنهب الكنائس وتخريبها مما اضطر بعض الأقباط إلى الهروب ومغادرة البلاد[٧٨] فلم يكن الأقباط يتوقعون خيراً من الفرنج على الإطلاق[٧٩]

وفي الحقيقة أظهر الأقباط وعياً كبيراً وفهماً عميقاً للحركة الصليبية وجاهدوا ضد أولئك اللاتين الدخلاء وكانوا يدركون تماما أن الكيان الصليبي في بلاد الشام كيانا زائفا لا يقوم على قواعد ثابتة راسخة، فلم يكن للصليبيين قومية ولا هوية وطنية، وأحس الملك الكامل[٨٠] بمدى وطنية الأقباط، وعلم أنهم يريدون أن يعيشوا في وطنهم مصر عيشة راضية آمنين على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم فمال إليهم وقربهم منه ورفع مقامهم وعمل على ما فيه راحتهم ورد لهم ما سلب منهم، وزار بعض الأديرة مع حاشيته ورفض بشدة التدخل في النزاعات الصغيرة التي كانت تحدث أحيانا في الكنيسة القبطية، وهكذا حافظ القبط على هويتهم الوطنية فحفظوا لأنفسهم مركزا مهما في وطنهم مصر وانتهت حملة جان دي بريين بالفشل الذريع[٨١].

وفقدت الحروب الصليبية في عهد الملك الكامل صبغتها الدينية وكانت الحملة الصليبية السادسة (١٢٢٨-١٢٢٩م/٦٢٥-٦٢٦هـ) حملة سلمية، وانتهت بقيام الملك الكامل بالتنازل عن مدينة بيت المقدس للإمبراطور الألماني فردريك الثاني(١٢٢٠-١٢٥٠م/٦١٧-٦٤٨هـ) وفقاً لاتفاقية يافا التي عقدت بينهما في ١٨ فبراير ١٢٢٩م/ ٢٢ ربيع الأول ٦٢٦هـ[٨٢].

وتعتبر الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٨-١٢٥٠م/٦٤٦-٦٤٨هـ) آخر الحملات الصليبية الكبيرة على مصر وكانت بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا (١٢٤٩-١٢٥٠م/٦٤٧-٦٤٨هـ) الذي نجح في احتلال دمياط في يونيو ١٢٤٩م /صفر ٦٤٧[٨٣]، والواقع أن سقوط دمياط أثار الأسي في نفوس أهل مصر من المسلمين والأقباط[٨٤] الذين بدأ يحشدون الأسلحة والذخائر ويمدون أهالى دمياط بالمؤن والزاد وفي تلك الأثناء توفى الملك الصالح نجم الدين

أيوب في ٢٢ نوفمبر ١٢٤٩م /١٥ شعبان ٦٤٧هـ فأخفت أرملته شجر الدر[٨٥] خبر وفاته "وظلت المراسيم والكتب تخرج بتوقيع السلطان المتوفى.. كأنه حي"[٨٦]

وانتهت هذه الحملة أيضا بالفشل، وأسر الملك لويس التاسع في دار ابن لقمان بالمنصورة[٨٧]، وتم الاتفاق أخيرا على إطلاق سراح الملك وجميع الأسرى الفرنج على أن يجلوا عن دمياط ويدفعوا ٤٠٠ ألف دينار فدية للملك، وتم تسليم دمياط للمصريين، وأبحر لويس وأتباعه إلى عكا في ١٢٥٠م/ صفر ٦٤٨هـ[٨٨]، وبعودة دمياط إلى مصر ضربت البشائر، وفرح الناس وسر الأقباط بهزيمة لويس التاسع ورأوا في ذلك عقابا جديدا أنزل على أنصار كنيسة روما[٨٩].

في الحقيقة كان للمقاومة الشعبية في دمياط دور مجيد في دفع خطر حملة لويس التاسع، ووقف المسلمون والأقباط في دمياط جنبا إلى جنب وتصدوا لخطر الفرنج، وساندهم في ذلك أخوانهم أقباط سوريا فقاموا بالهجوم على معاقل اللاتين بالساحل الشامي[٩٠]، ويذكر المؤرخ جوانفيل – مؤرخ حملة لويس التاسع– أن سكان دمياط جميعا كانوا يتسللون ليلا إلى المعسكر الصليبي ويقتلون جنود الصليبيين وهم نيام، ثم يهربون وكما يذكر المؤرخ ابن أيبك الداوداري: أن خوف الصليبيين من المتطوعين العوام كان أشد من خوفهم من الجنود النظاميين[٩١]،واشترك الأقباط في معركة المنصورة، وحاربوا في صفوف المسلمين ضد الصليبيين فكان الانتصار لمصر[٩٢]

لقد أظهر الصليبيون تعصبا ضد الأقباط وفي المقابل لم يرتاح القبط لوجود الجيوش الكاثوليكية على أرضهم، لقد أدرك الأقباط حقيقة الهدف الصليبي وهو القضاء على الإسلام وثقافته وعلى المسيحية الشرقية وديانتها الأرثوذكسية وهي تلك السياسة التي أتبعوها عندما أغاروا على الديار المصرية، وكانت حملة لويس التاسع نموذجا حيا لتلك السياسة[٩٣].

وهكذا كان للحملات الصليبية آثارا سيئة على الأقباط فقد نظر إليهم الصليبيون باعتبارهم هراطقة وملحدين ولم يفكروا إطلاقا في الاستعانة بهم أو التعاون معهم، بينما ظن بعض العامة أن الأقباط يتعاطفون مع أولئك المعتدين حاملي الصليب على صدورهم، مما أوقع الأقباط أحيانا تحت ثقل ضرائب مبالغ فيها وهكذا كان وضع الأقباط في نهاية العصر الأيوبي وبداية عصر المماليك[٩٤]، فقد ساد التوتر في البلاد وطرد الأقباط من وظائفهم وفرضت عليهم ضرائب ثقيلة، وبسبب الحروب الصليبية شمل الأقباط موجة من الاضطهاد كانت ترتفع أحيانا

وتنحسر أحيانا أخرى، فلم يستطع بعض أولى الأمر أن يفرقوا بين الأقباط والصليبيين واعتبروا أن الجهاد الديني عاما ضد كل المسيحيين داخل مصر وخارجها، بالإضافة إلى محاولة اليهود استنفار بعض حكام المماليك ضد الأقباط للانتقام منهم، غير أن الأقباط حسموا المسألة إذ وقفوا مع نسيجهم الوطني ضد الصليبيين صامدين انتظاراً لانفراج الأزمة، لكن سرعان ما تغير موقف المماليك وأحسوا بمدى علم وكفاءة الأقباط وأمانتهم [٩٥].

وواصل المماليك حركة الجهاد ضد الصليبيين[٩٦]. في نفس الوقت الذي حافظوا فيه على البنية والنسيج الاجتماعي للمجتمع المصري، وعاش الأقباط المصريون ضمن الإطار العام للحياة المصرية وانخرطوا مع إخوانهم المسلمين وعملوا بالزراعة واشتغلوا بالتجارة والصرافة ومارسوا الحرف والمهن المختلفة وأدرك المماليك أن الأقباط ليسوا غرباء أو أجانب، بل هم مصريون فسمحوا لهم بامتلاك العقارات على اختلاف أشكالها وأنواعها، والقيام بعمليات البيع والشراء وتشارك الأقباط والمسلمون في كثير من أعمال التجارة والصناعة واحتفلوا جميعا أقباط ومسلمون بالأعياد والمواسم المسيحية باعتبارها أعياداً مصرية، ولم يعد سلاطين المماليك يخشون قيام أي حركة ثورية ضدهم من جهة القبط، ولعل هذا الاحساس جاء نتيجة الخبرة الطويلة منذ بدء الحروب الصليبية والتي أثبت فيها الأقباط أنهم محبون لمصر، وأنهم لم يستغلوا قط الحملات الصليبية ولم يتعاطفوا مع الصليبيين أبدا بالإضافة إلى عدم قيام الكنيسة بأي محاولة لمقاومة السلطات وظلت بمنأى عن شئون الحكم والسياسة، وفي المقابل لم يتدخل الحكام المسلمون أبدا في انتخاب بطريرك الأقباط[٩٧].

لقد كان الأقباط جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصري واندمجوا تماما في الحياة المصرية دون تمييز بينهم وبين المسلمين واعتبرهم سلاطين المماليك جزءاً من رعيتهم وعاملوهم بالعدل[٩٨]، ودليل على ذلك تلك المراسلات التي كان يرسلها سلاطين المماليك إلى بطاركة الأقباط والتي تبين مدى احترامهم وإجلالهم للبطريرك القبطي الذي وصفوه بهذه الألقاب "الحضرة السامية الشيخ الرئيس المبجل"، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، كبير الأمة المسيحية، أطال الله تعالى بهجته وأعلى أهل طائفته[٩٩].

لقد لعب الأقباط دورا مهما في تثبيت دعائم الحكم الإسلامي، واعتمدت عليهم الدولة في إدارة شئونها وشغلوا وظائف مهمة فكان منهم ووزراء وأطباء ومهندسون وشعراء وكتاب ومؤرخون

بالإضافة إلى الفنانين والصناع والبنائين المهرة وقام هؤلاء بدور بارز في تطوير معالم الحضارة الإسلامية(١٠٠)

فالعلاقات بينهم وبين المسلمين كانت دائما ودية وطيبة، ولما نر في التاريخ ما يدل على وجود تعصبات دينية، بل ربما وجد من المسلمين من أنصفهم وذب عنهم، حتى المحن والشدائد التي مرت بها مصر، فقد عمت جميع السكان على السواء أقباطا كانوا أو مسلمين فقد سادت الألفة بين الإسلام والمسيحية على امتداد تاريخ مصر الإسلامية، وبذل الأقباط أرواحهم وأموالهم في الدفاع عن مصر ضد الحملات الصليبية، وسادت روح العدل والمساواة بين الأهلين في مصر مهما اختلفت ديانتهم حتى وأن قامت بعض الفتن أو المنازعات بين المسلمين والأقباط، فقد كانت حوادث فجائية لم تؤثر على تلك الحقيقة الواضحة الملموسة وهي أن المصريين قبطا ومسلمين كانوا يعتبرون أنفسهم شعبا واحدا

الهوامش

(١) عن قيام الحروب الصليبية انظر: فوشيه ده شارتر: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة د. حسن حبشي، القاهرة، ١٩٥٨؛ وليم الصوري: أعمال الفرنجة المنجزة فيما وراء البحار، جزءان، ترجمة د. سهيل ذكار، دمشق،١٩٨٥م؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، تحقيق د.سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٣م، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٢ج، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٧٨؛ ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م؛ ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ٣، نشر وتحقيق د. سامي الدهان، دمشق، ١٩٦٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج ٣، القاهرة، ١٩٧٣م؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ج، القاهرة، ٢٠٠٦م انظر أيضا:

Runciman،S.،A History Of The Crusades،3Vols.،London،1973، Setton،K.M.، A History Of The Crusades،5Vols،Philadelphia،1958.

(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الحبوري، ج٢، بيروت، ص٥٢-٥٤؛ أ.ل.بتشر، تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، ترجمة جريدة مصر، مطبعة الفجالة، القاهرة،١٩٠٠، ص١٠. انظر أيضا:

AzzizAtiya،HistoryOfEasternChristianityAlexandria،2001،p.81،George Khou،Advant Of Islam And Christian،Oxford،1993،pp.30-59.

(٣) عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحق عبيد، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٢٠-٢٥ انظر:

The Coptic Encyclopedia،1991،p.5،Encyclopedia،Britannica،1978،p.10.

Runciman،S.،A History Of The Crusades، Vol. 1، London،1973، P.25،Setton،K.M.، A History Of The Crusades، Vol.،3،Philadelphia،1958،P.10

(٤) ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، ترجمه إلى الإنجليزية، عزيز سوريال عطية، القاهرة، ٢٠١٧، ص١٩؛ ايريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، ج ٥، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٥-٦٩..

(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحما"،وقال أيضا:" إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم نسباً وصهراً" رواه مسلم (٢٥٤٣) عن أبى ذر رضى الله عنه. انظر أيضاً: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٤٥؛ ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها، تحقيق د. علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٧-٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، بيروت، ١٩٧٥م، ج ٢، ص١٦

(٦) ساويرس بن المقفع: المصدر السابق،ص٣٦ج

(٧) فتوح مصر وأخبارها، ص٥٣-٥٤.

(٨) ستانلي لين بول: تاريخ مصر في العصور الوسطي، ترجمة وتعليق أحمد سالم، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٥٠. انظر أيضا:

Campo،Juan،Encyclopedia Of Islam،2009،p.116..

(٩) ساويرس بن المقفع: المصدر السابق، ص٥١.

(١٠) كان يوحنا النقيوسي أسقفا في القرن ٧م/ الأول الهجري لأبرشية مدينة نيقيوس (جنوب شرق الدلتا)، وكان معاصرا للأحداث، انظر: يوحنا النقيوسي: تاريخ مصر، رؤية قبطية للفتح الإسلامي، ترجمة عمر صابر عبد الجليل، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٥٥٩]

(١١)تاريخ سعيد بن البطريق، ج٢، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٣١٧-٣١٨.

(١٢)تاريخ الكنيسة، تعريب القمص مرقص داوود، ط٢، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٩٠ج

(١٣) عن فتح عمرو بن العاص لمصر، انظر: البلاذري: فتوح البلدان، نشره صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٥٧؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٨٦؛ السيوطي: حسن

المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ١٢٩٩ه، ص٥٦-٥٧؛ ساويرس بن المقفع، المصدر السابق، ص١٠٨-١٠٩.
(١٤) الطبري: تاريخ الأمم والمملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة،١٩٧٧م،ج٤، ص٢٥٠؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة د. سهيل زكار، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م؛ القلقشندي:صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٤٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العربية، ط١، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٨.
(١٥) ابن عبد الحكم المصري: المصدر السابق، ص٦٩-٧١؛ ابن فضل الله العمرى: المصدر السابق، ج٣، ص٢٨١- ٢٨٢، نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د. حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٣٥٥.
(١٦) عن بناء مدينة الفسطاط انظر: ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٦٨-٩٨؛ الكندى: ولاة مصر، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر بيروت، ١٩٠٨م، ص٣٢-٦٩؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تقديم د. محمد مخزوم، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٩٧-١٩٨؛ ناصر خسرو: سفر نامة، ترجمة يحي الخشاب، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٨٥؛ ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، بيروت، دون تاريخ، ق١، ص٣-٧، ص٢٩-٣٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩٦٣م،ج٣، ص٢٧؛ السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق د. على محمد عمر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج١، ص٨٥.
(١٧) بنيامين هو بابا الإسكندرية ال ٣٨ (٦٢٥-٦٦٤م)، وهو سليل عائلة ثرية من مريوط ولما بلغ سن الرشد التحق بأحد الأديرة وتمت رسامته سنة ٦٢٥م، وعندما تعرض لإضطهاد الإمبراطور البيزنطي هرقل(٥٧٥-٦٤١م) فر إلى الصعيد حيث لجأ إلى أحد الأديرة الصغيرة هناك، وكانت مدة رئاسته للكنيسة المصرية ٣٩ عاما قضى ١٣ عاما منها شريدا طريدا. انظر: ساويرس بن المقفع: المصدر السابق، ج٢، ص١٣؛ أبو صالح الأرمنى: تاريخ أبو صالح الأرمنى المعروف باسم كنائس وأديرة مصر، مطبعة أكسفورد، ١٨٩٥م، ج١، ص٦٢٦-٦٦٥.
(١٨) أدرك عمرو بن العاص منزلة البطريرك بنيامين فأعطاه العهد والأمان والسلامة، ولما عاد البطريرك إلى الإسكندرية قال "لأتباعه عدت إلى بلدي الإسكندرية فوجدت بها النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما بعد الاضطهادات والمظالم" انظر:يوحنا النقيوسي: المصدر السابق، ص٢٢١؛ سعيد بن البطريق: المصدر السابق، ص٢٢٥؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، بيروت، ١٩٥٩م، ص٤٠٧-٤٠٤، بتلر (الفريد): فتح العرب لمصر، ترجمة وتحقيق محمد فريد أبو حديد، القاهرة، ج١، مصر، ص٤٥٦-٤٦٠..
(١٩) عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ص٢١-٤٥..
(٢٠) جاك تاجر: أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي حتى عام ١٩٢٢م، ج١، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٢٩.
(٢١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٥، ص٢٢٩؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر،، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص١٠؛ الكندي: المصدر السابق، ص٤٥-٦٠؛ ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها، تحقيق علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٣٣م، ص٩١.
(٢٢) الكندي: المصدر السابق، ص٩٨-٩٩؛المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ١٩٥٩م، ج٢، ص٢٦١.
(٢٣) دامت ولاية مسلمة بن مخلد على مصر أكثر من خمس عشرة سنة ويعتبر من أشهر ولاة مصر في العصر الأموي وعامل القبط بروح العطف والعدل والتسامح الديني وسمح ببناء كنيسة لهم بالفسطاط انظر: ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٦٩-٧٠، ص١٣٣-١٣٤؛ الكندي: المصدر السابق، ص٦٢-٦٣؛ ابن زولاق: المصدر السابق، ص٩١؛ ابن تغرد بردي: المصدر السابق، ج٤، ص١٣٣-١٣٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق علي محمد عمر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٥.
(٢٤) الكندي: المصدر السابق، ص٧٧؛ ابن مماتي: قوانين الدواوين، حققه عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٧٥؛ ابن البطريق: المصدر السابق، ص٤١ .
(٢٥) دير حلوان يعرف بدير طمويه ويقع غرب حلوان تحف به أشجار الكروم والبساتين والأشجار وهو عامر بالرهبان. انظر: ابن فضل الله العمرى: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٥؛ ابن البطريق: المصدر السابق، ص٤١.

(٢٦) حرص القبط على تعلم اللغة العربية واتقنوا فن الكتابة وقواعد الحساب واهتم بطاركة اليعاقبة باللغة العربية وقام أحدهم وهو البطريرك جبرائيل الثاني (١١٣١-١١٤٦م/٥٢٦-٥٤١ه) بترجمة الإنجيل من القبطية إلى العربية حتى" يفهم الشعب بأكمله ما يكتبه" عن انتشار اللغة العربية بين الأقباط انظر: المقريزي، الخطط، ج٢،ص ٤٩٤؛ ميخائيل السرياني، تاريخه، عربه عن السريانية، جريجورس صليبا شمعون، وقدم له يوحنا إبراهيم، ج٣، حلب، ١٩٩٦م، ص٢٣٥

(٢٧)أبو يوسف: كتاب الخراج، بولاق، ١٣٥٢ه، ص١٣١؛ ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق، ص١٥٢؛ جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢١٥-٢١٦.

(٢٨) بتلر: المصدر السابق، ص١٠٨

(٢٩) باستثناء حالات قليلة فقد حدث في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (٦٩١-٧٤٢م/٧١-١٢٥ه) أن فرض والي مصر حنظلة بن صفوان الكلبي (٦٨٥-٦٩٠م/١١٩-١٢٤ه) ضرائب باهظة على القبط وعندما اشتكوا للخليفة قام بعزله وعين واليا آخر مكانه هو حفص بن الوليد(٧٤٢-٧٤٥م/١٢٢-١٢٥ه). انظر الكندي: المصدر السابق، ص١٠٣؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٦٨؛ يعقوب نخلة روفيلة: تاريخ الأمة القبطية، ط١، مطبعة التوفيق، القاهرة، ١٨٩٨م، ص٦٢.

WethMullerKurt.J.،Coptic Identity And Political In Egypt، London،1958،p.219

(٣٠) ولي مصر في العصر العباسي ثمانية وسبعون واليا كانت مدة حكم بعضهم قصيرة للغاية ويكفي القول أنه في خلال خمس سنوات من(٧٨٩-٧٩٤م/ ١٧٢-١٧٧ه) تولى مصر سبعة ولاة . انظر: الطبري: المصدر السابق، ج٧، ص٥١٤؛ الكندي: المصدر السابق، ص١٣٠-١٣٣

(٣١) هو عيسي بن منصور بن موسي الرافعي تولى ولاية مصر سنة ٨٣١م/٢١٦ه، وأثقل كاهل الأقباط من سكان مصر بالضرائب الباهظة فثاروا عليه وخلعوا طاعته فقرر الخليفة المأمون التوجه شخصيا إلى مصر التي وصلها في ٨٣٢م/١٠ محرم ٢١٧ه ووبخ عيسي على أفعاله قائلا:" لقد حملتم الناس ما لا يطيقون" وعزله على الفور، اليعقوبي: كتاب البلدان، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٦٦؛ الكندي: المصدر السابق، ص٢١٦.

(٣٢) البطريرك يوساب الأول (٨٣١-٨٤٩م/٢١٦-٢٣٥ه) هو البطريرك ال٥٢ للكنيسة الأرثوذكسية ولد في مدينة منوف، واستمرت بطريركته ١٧ سنة و١١ شهر .انظر: عمر طوسون: وادي النطرون ورهبانه وأديرته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٢٢.

(٣٣) الكندي: المصدر السابق، ص١٣٣؛ أبو المحاسن: المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٣.

(٣٤) أحمد بن المدبر هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر (٨١١-٨٩٣م/١٩٥-٢٧٩ه)، وتولى خراج مصر في عهد الخليفة محمد المنتصر (٢٤٧-٢٤٨م/٨٦١-٨٦٢ه)، وفرض ما يعرف "بالضرائب الهلالية" على جميع المحصولات الزراعية والأراضي والأطيان الزراعية والصناعات والأملاك والعقارات، ويصف البلوي مدى قوة ونفوذ أحمد بن المدبر. انظر: البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٣٥٨ه، ص٤٤.

(٣٥) نخلة روفيلة: المرجع السابق، ص٩٣-٩٤.

(٣٦) بتلر: المرجع السابق، ج١، ص٤٥٦-٤٦٠.

Goddard، Hugh، History Of Christian- Muslim Relation،London،2016،p.71.

(٣٧) اليعقوبي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٣؛ ساويرس بن المقفع: المصدر السابق، ص١٧.

(٣٨) ابن زولاق: فضائل مصر، ص٥٩.

(٣٩) المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٣١-٤٢٣.

(٤٠) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص٢٦٠-٢٦٤؛ ابن الداية المصري: سيرة أحمد بن طولون، نشرها فولزر، فيمار، ١٨٩٥م، ص٨-١٣.

(٤١) تعتبر دولة ابن طولون أول استقلال حقيقي في تاريخ مصر السياسي، علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٣٣-٣٤.

(٤٢) ألغي ابن طولون الضرائب الهلالية" التي فرضها صاحب الخراج أحمد بن المدبر وعرفت بهذا الاسم لأنها كانت تجبي مع بداية الشهر القمري. انظر: ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها، ص٩٩؛ جاك تاجر: أقباط ومسلمون، ص٧٦-٧٧.

(٤٣) أدرك ابن طولون بثاقب نظره أن المصريين أقدر على تدبير أمورهم خاصة الشئون المالية فاستكثر منهم حتى أصبحت الإدارة المالية كلها في أيديهم. انظر: البلوي: سيرة بن طولون، ص١٠٦

(٤٤) يذكر المؤرخ البلوي أن أحمد بن طولون كثيرا ما تردد على أديرة الرهبان وكان يعتكف في صوامعهم. انظر: البلوي: المصدر السابق، ص٢٦٥-٢٧٠.

(٤٥) كان الحاجب على رأس كبار موظفي الدولة وكان مسئولا عن إدخال الناس على الأمير وفق قواعد خاصة وكانت وظيفة الحاجب من الوظائف السامية في العصرين الطولوني والإخشيدي. انظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣٢٩.

(٤٦) ابن دقماق: المصدر السابق، ق١، ص٣٦

(٤٧) الفرغاني: نسبة إلى فرغان في مركز ديرب نجم في محافظة الشرقية أو الفراجون في سيدي سالم بمحافظة كفر الشيخ

(٤٨) تأثر الفن العربي بالفن القبطي وظل المهندس القبطي هو الذي اعتمدت عليه الدولة الإسلامية في وضع التصميمات الهندسية للمساجد الإسلامية وفي اقتراح أشكالها ونقوشها والذي يقارن بين عمارة المساجد والكنائس القديمة لا يجد فارقا كبيرا في أنواع الزخارف والنقوش المستخدمة مثال ذلك الكنيسة المعلقة، وجامع عمرو بن العاص فإن بينهما شبها في طراز الأقبية مما يدل على أن الذي قام بتخطيط الجامع كان مهندسا قبطيا كما =تولى بناء جامع السلطان حسن مهندسا قبطيا أيضا، وبالمقابلة بين شرفات الكنائس القبطية القديمة في الوجه القبلي وبين جامع ابن طولون والسيدة رقية والجامع =الأزهر يتبين لنا أن الصناعات الحشبية العربية في هذه الجوامع شديدة الشبه بالأشكال المسيحية ولا شك أن القناديل النحاسية في الجوامع والكنائس تدل على أنها من صنع عمال وصانعين أقباط. انظر: لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية، مطبعة المقتطف، القاهرة، ج٣، ١٩٢٥م، ص٢٢٦-٢٢٨.

(٤٩) قام الفرغاني ببناء مقياس النيل بالروضة في أيام الخليفة العباسي المتوكل سنة ٨٦٤م/٢٥٠ه. انظر: كامل صالح نخلة: تاريخ سعيد بن كاتب الفرغاني، مقال منشور في مجلة التوفيق، العدد العاشر، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٤٢٣.

(٥٠)المقريزي: الخطط،ج٢، ص٣١٩؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج٣، ص٧٨.

(٥١) مؤسس الدولة الإخشيدية هو محمد بن طغج الإخشيد (٩٣٥-٩٦٤م/٣٢٣-٣٣٤ه). انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٣٧.

(٥٢) استمر أبو اليمن قزمان في منصب الوزارة لمدة ٢٢ عاما، ايريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، ط٨، القاهرة، ٢٠٠٣م،ج٣، ص١٥.

(٥٣) يذكر المقدسي أن نصاري مصر توقفوا عن الكتابة القبطية وبدأوا يتعلمون اللغة العربية ابتداء من عام ٩٨٥م/٣٢٥ه المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وحواشيه د. محمد مخزوم، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٠٥-١٠٦، أبو صالح الأرمنى: المصدر السابق، ج١و ص٩.

(٥٤) سعيد بن البطريق (٨٧٧-٩٤٠م/٢٦٣-٣٢٨ه) ولد في الفسطاط سنة ٨٧٧م/٢٦٣ه، وهو طبيب ومؤرخ مسيحي عين بطريركا على الإسكندرية وسمي أوتيخوس له العديد من المؤلفات أهمها كتابه في التاريخ الذي أخذ عنه ابن خلدون توفى في الإسكندرية عام(٩٤٠م/٣٢٨ه). ابن خلكان: وفيات الأعيان، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج١، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٥٥) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج٢، ص٣٦٤؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص٢٩٤.

(٥٦) أبو صالح الأرمني: تاريخه المعروف باسم كنائس وأديرة مصر، ١٧٩٧م، ص١٢٥

(٥٧) حنا النقيوسي: تاريخه: ترجمة المستشرق زوتنبرج، ص٥٨٦. انظر ايضا:

Cambridge Med.،History Of Islam،Vol.،2،p.88،Goddard،Hugh،History Of Christian - Muslim Relation ،2016،p.71

(٥٨) رفض مسيحيو مصر ما أقره مجمع خلقدونية سنة٤٥١م والذي انتهي إلى أن للمسيح طبيعتان، ورفضت الكنيسة المصرية قرارات هذا المجمع ونادت بأن للمسيح طبيعة واحدة وصدر قرار الحرمان ضد بابا الإسكندرية ديسقورس الأول Diascarus 1 (٤٤٤-٤٥٤م) عن مجمع خلقدونية. انظر: يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة المصرية، ص٨٣-٨٤.

Samuel shah ، Christianity Freedom،Vol.،2،Cambridge University،2000،p.167.

(٥٩) سعيد بن البطريق: تاريخه، ص٩٠-٩٤؛ ستانلي لين بول: تاريخ مصر في العصور الوسطي، ترجمة وتعليق أحمد سالم، ط٤، القاهرة، ٢٠١٦، ص

(٦٠) متي الرهاوي: تاريخ متي الرهاوي، ترجمة وتعليق د. محمود محمد الرويني وعبد الرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩، ص٦٤.

Erenadot،Historia Patriarcharum Alexandriunorumm،Jacobitorum،Paris،1713،p.47

(٦١) مثل عيد البشارة وعيد أحد الشعانين والذي اشتهر باسم عيد الزيتونة، وكانوا يخرجون فيه حاملين سعف النخيل ويدورون حول الكنائس ومعهم الورود وأمامهم الكهنة والشمامسة بملابسهم التقليدية، كذلك خميس العهد أو خميس العدس أو خميس البيض) وكان الأقباط يأكلون فيه العدس ويأكل أخوانهم المسلمون البيض. انظر: ابن الآبار: الحلة السيراء، حققه وعلق على حواشيه د. حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٩٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٩؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص٢٦٣-٢٦٦

(٦٢) اتخذ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٩٦٩-٩٧٩م/٣٥٨-٣٦٥ه) وزيرا قبطيا هو أبو اليمن قزمان بن مينا، وكان الخليفة العزيز بالله (٩٧٦-٩٩٦م/٣٦٦-٣٨٦ه) متزوجا من سيدة قبطية وكان يحسن إلى الأقباط، واتخذ وزيرا قبطيا هو عيسي بن نسطوروس، وأمتلأ ديوانه برجال الحكم والإدارة من القبط، وكان للحاكم بأمر الله (١٠٢٠-١٠٣٥م/٤١١-٤٢٧ه) كاتبا نصرانيا هو زرعة بن عيسى بن نسطوروس وطبيبه الخاص كان قبطيا هو أبو الفتح بن مقسر، كما اتخذ لنفسه سكرتيرا من القبط ولقبه الرئيس أبي العلاء. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٠٠؛ ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق، ص٤٩-٥٠؛ رمزي تادرس: دائرة المعارف القبطية، ج١، ص٧٣.

(٦٣) ساويرس بن المقفع (٩١٥-٩٨٧م/٣٠٣-٣٧٧ه) أسقف الأشمونين (هرموبوليس) بالصعيد صاحب كتاب تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية القبطية وكان يجيد اللغة القبطية واليونانية والعربية.انظر: إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، ج٤، ص١١٤.

(٦٤) ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق، ص٣٠؛أ.ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، مطبعة الفجالة، القاهرة، ص١٩٥

Azziz Aliya،History Of Eastern Christianity،2009،p.81.

(٦٥) يعقوب نخلة روفيله: المرجع السابق، ص١٧٨.

(٦٦) ياقوت الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار العرب الإسلامي، بيروت، ج١، ص٦٣٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ط٢، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٧٢؛ جاك تاجر: أقباط ومسلمون، ص١٣٨.

(٦٧) ينتمي إلى عائلة شرافي القبطية وكان أبوه من رجال الحكم زمن الخليفة الفاطمي العاضد. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ص١٣، يعقوب نخلة روفيله: تاريخ الأمة القبطية، ص١٧٦.

(٦٨) أبو منصور: قام بوضع تصميمات العديد من الأبنية والجسور والخلجان والترع وحفر أيضاً البئر المعروفة في القلعة ببئر يوسف، رمزي تادرس:دائرة المعارف القبطية، مطبعة صادق، المنيا، مصر، بدون تاريخ، ص٦٩.

(٦٩) أبو مشكور: من كبار المهندسين في عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي واتصل به وخدمه وشيد له القلعة وسور القاهرة مع أبي منصور، انظر رمزي تادرس: المرجع السابق، ص٦٥.

(٧٠) نجح بطريرك بيت المقدس الأرثوذكسي ليونتيوس الثاني (١١٧٠-١١٩٠م/٥٦٦-٥٨٦ه) من الفرار من قبضة الأسر، وهرب إلى دمشق، وكان على اتصال بصلاح الدين الأيوبي فأرسل إليه كتابا باللغة العربية يعرض عليه المساعدة والتعاون معاً لطرد الصليبيين من بيت المقدس، انظر: ميخائيل السرياني: المرجع السابق، الجزء السابق، ص٢٥٠

Encyclopedia،Elquds،(1099-1171)،1910،p.10

(٧١) ابن الجوزي: فضائل القدس، تحقيق د. جبرائيل سليمان، دار الآفاق الحديثة، بيروت، بدون تاريخ، ص١٠٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، القاهرة، ج١١، ص٢٥١؛ ستيفن رانسيمان:تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ج٢، بيروت، ١٩٦٨م، ص٧٥٢.

(٧٢) وهو الدير الوحيد الذي لا يحمل اسم أحد القديسين كما هو معروف في الأديرة القبطية الأخرى.

(73) Lane Pool (S) The Story Of Cairo،1971،p.103

People and The Church of Egypt،History Of The Coptic Orthodox،R.،Morgan p.1،

(٧٤) عن حملات الصليبيين على مصر انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، الكتاب الأولى، ص١٤٠.

(٧٥) دعا البابا أنوسنت الثالث(١١٩٨-١٢١٦م/٥٩٥-٦١٣ه) إلى حملة صليبية جديدة بغرض استرجاع بيت المقدس من أيدى المسلمين واستجاب لنداءه جان دي بريين ملك بيت المقدس الأسمى(١٢١٠-١٢٢٥م/٦٠٧-٦٢٢ه)، وجعل مسارها مصر وبالتحديد دمياط باعتبارها مفتاح مصر واستمر حصارها زهاء سنة ونصف، وسقطت المدينة في أيديهم في نوفمبر ١٢١٩م/٢٥ شعبان ٦١٦ه عن الحملة الصليبية الخامسة انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٣٢٣؛ أبو شامة: الروضتين، ص٦٨٩-٦٩؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٢٠٢

(٧٦) جان دى بريين (١١٧٠-١٢٣٧م/٥٦٦-٦٢٤ه): كان ملك بيت المقدس الأسمى (١٢١٠-١٢٢٥م /٦٠٧-٦٢٢ه) وإمبراطور القسطنطينية اللاتينية (١٢٢٩-١٢٣٧م/٦٢٦-٦٣٥ه)، والذي قاد الحملة الصليبية الخامسة انظر: محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة على مصر، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

(٧٧) بسقوط دمياط في أيدي الصليبيين بدأ أولياء الأمر في مصر يتشككون في موقف النصاري، ومما زاد الموقف تعقيداً أن دمياط نفسها كان بها عددا كبيرا من الأقباط، وكان هذا الأمر لوحده كافيا لبعث الاضطرابات في القاهرة، وشمل الذهول الجميع مسلمين وأقباط بعد أن راجت الشائعات حول موقف الأقباط الذين أصبحوا في موضع الريبة، واجتمع الملك العادل (١١٤٥-١٢١٨م/٥٣٨-٦١٥ه) بالقساوسة الأقباط وطلب منهم أن يخرجوا مع الجيش المصري في هذه الحرب قائلا لهم:" سافروا مع المسلمين من أجل الحرب، أخرجوا مع المسلمين لقتال الفرنج فخرج عشرة آلاف قبطي". انظر: ساويرس بن المقفع: المصدر السابق، ص٣٣٧.

(٧٨) وفد على بلاط ملك الحبشة Lalibela حوالي عشرة آلاف قبطي. انظر:

Coulbeanx،History Of Ethiopia،PP.256-266.

(٧٩) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق د. حسنين ربيع، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ج١،ص٨٧؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ط١، القاهرة، ١٣٢٥ه، ج٢،ص١٢٨؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٨

(٨٠) أظهر الملك الكامل عطفا على النصارى وتذكر إحدى الروايات أنه أمضى بقية حياته في إحدى الأديرة. انظر: متي الرهاوي: تاريخ متي الرهاوي، ترجمة وتعليق د. محمود محمدد الروينى وعبد الرحيم مصطفى، الأردن، ٢٠٠٩، ج٢، ص٢٩٥

(٨١) رحل الصليبيون عن دمياط في سبتمبر ١٢٢١م/ رجب ٦١٨ه انظر: ابن الأثير: المصدر السابق،ج١٢، ص٣٢٣؛ أبو شامة: المصدر السابق، ص٦٨٩-٦٩٠؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٢٠٢

(٨٢) ابن واصل: المصدر السابق، ج١، ص٢٤٢.

(٨٣) جوانفيل: مذكرات القديس لويس وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م

(٨٤) لم ينج أقباط مصر من الفرنج ولم يسلموا من شرهم، فعندما نزلوا دمياط قتلوا عددا كبيرا من سكانها دون تمييز بين مسلم ونصرانى، يعقوب ذخلة روفيلة: المرجع السابق، ص١٥٨.

(٨٥) شجر الدر: هي عصمة الدين أم خليل خوارزمية الأصل وقيل أنها أرمينية أو تركية الأصل تزوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتولت الحكم بعد وفاته لمدة ثمانين يوما، ثم تنازلت عن العرش لزوجها عز الدين أيبك التركماني سنة (١٢٥٠م/٦٤٨ه)،وقتلت في ٣ مايو ١٢٥٧م/٢٣ ربيع الأول ٦٥٥ه على يد جوارى إمرأة أيبك الأولى أم نور الدين على، واعتبرها المقريزي أولى سلاطين دولة المماليك البحرية انظر: المقريزي: السلوك، ج١، ص٢٤٦-٢٤٨؛ بدر الدين العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أحمد أمين، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٨م، ص.

(٨٦) المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٥٤.
(٨٧) ابن لقمان: هو فخر الدين بن لقمان، كاتب الإنشاء، انظر : ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج٨، ص٣١٣.
(٨٨) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٩٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٢، ص١٣٨؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٦٣.
(٨٩) ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج٣، ص٤١٧.
(٩٠) جوانفيل: المصدر السابق، ص٤٦
PP.723-724.، Crusaders in the East،Stevenson
(٩١) أبن أيبك الداوداري: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٧، القاهرة، ١٩٧١م، ص١٦٦.
(٩٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج١، ص٣٩٦.
(٩٣) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م، ص٧١-٧٤.
(94)E.Renaudot،HistoriaPatriarcharumAlexandriauinorum Jacobitorum، Paris ،1713،P.479.
(٩٥) شغل الأقباط مراكز هامة في عصر دولة المماليك البحرية (١٢٥٠-١٣٨٢م/٦٤٨-٧٨٤ه)، وعمل في خدمة شجر الدر (١٢٥٠م/٦٤٨ه)قبطيا اسمه الوجيه المفضل، وكان كاتم سر شجر الدر وسكرتيرا لها، وأستوزر السلطان قطز (١٢٥٩-١٢٦٠م/٦٥٧-٦٥٨ه) قبطيا هو" شرف الدين ـأبو سعيد هبة الله"، ومنحه سلطة واسعة للغاية وكذلك كان لبيبرس(١٢٦٠-١٢٧٧م/٦٥٨-٦٧٦ه) كاتبا قبطيا هو التاج بن سعيد الدولة. انظر: المقريزي: الخطط، ج٢، ص٩٠-٩٦؛ إيريس حبيب المصري: المرجع السابق، ج١، ص٢٤٧، ج٣، ص٩٦.
Morgan،Robert،Historyof the Coptic Orthodox People and the Church of Egypt،P.111.
(٩٦) ورث المماليك عن الأيوبيين تصميمهم على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين الذين صارت مدنهم وقلاعهم تسقط واحدة تلو الأخرى، فاستعاد الظاهر بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧م/٦٥٨-٦٧٦ه) قيسارية وصفد ويافا وجبيل وعرقة في الفترة من (٦٦١-٦٦٤ه/١٢٦٣-١٢٦٦م)، واستعاد السلطان قلاوون (١٢٧٩-١٢٩٠م/٦٧٨-٦٨٩ه) قلعة المرقب سنة ١٢٨٥م/٦٨٤ه واللاذقية سنة ١٢٧٨م/٦٨٦ه وطرابلس ١٢٨٩م/٦٨٨ه وفتح السلطان الأشرف خليل (١٢٩٠-١٢٩٣م/٦٨٩-٦٩٣ه) عكا آخر معاقل الفرنج الحصينة بالساحل الشامي عام ١٢٩١م/٦٩٠ه وأثار سقوطها الرعب والفزع في نفوس الصليبيين فرحلوا عن المدن الأخرى الباقية في أيديهم مثل صور وصيدا وبيروت وعادوا إلى بلادهم لتنتهي بذلك الحروب الصليبية بعد أن استمرت مائة وأربعا وتسعين سنة. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٠١؛ المقريزي: الخطط، ج٣، ص١٧٦-١٧٧.
(٩٧) احتلت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مكانة هامة في المجتمع المصري باعتبارها كنيسة وطنية مصرية، واستمرت مصر في ظل العهود الإسلامية المتتالية إحدى أبرز وأهم محافل المسيحية الأرثوذكسية في العالم لاحتضانها الكرسي البابوي القبطي، وفي أيام المماليك زاد عدد الكنائس فوصل إلى ٨٢ كنيسة في الصعيد و١٤ كنيسة في القاهرة و ١٩ كنيسة في الوجه البحري وبلغت عدد الأديرة نحو ٨٩ ديرا. انظر: المقريزي: الخطط، ج٢، ص٥١٨
(٩٨) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج٧، ص١٠٩.
(٩٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٣٩٣-٣٩٧.
(١٠٠) يعقوب نخلة روفيلة، المرجع السابق، ص٥١.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأصلية الأجنبية

- **Ambroise:**

The Crusade Of Richard Lion-Heart، Trans.From the old French by M.J.Hubert، New York،1941.

- **Anonymus:**

Gesta Francorum Expugnatium Iherusalem،ed. R.H.C.occ.،tome III،Paris،1886

ولقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم آعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة د. حسن حبشي، القاهرة، ١٩٥٨م.

- **Joinville،Jean de.،**

The Life Of Saint Louis، In Chronicles Of The CruSades، London،1963

وقد اعتمدنا كذلك على الترجمة العربية لهذا المصدر، والتي جاءت تحت عنوان: مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

Matthieu D' edesse، Extraits de La Chronique de Matthieu D'Edesse.،in R.H.C.،Doc.،Arm.،T.،I.،Paris 1869(PP.1-150).

وقد اعتمدنا كذلك على الترجمة العربية لهذا المصدر، والتي جاءت تحت عنوان: تاريخ متي الرهاوي، الأفرنج – الصليبيون – المسلمون – الأرمن، ترجمة وتعليق د. محمودد محمد الرويني وعبد الرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩.

Michael le Syrien،Extrait de la Chronique de Michael Le Syrien، in R.H.C.،Doc.،Arm.،I Paris 1869(PP.309-409)

وقد اعتمدنا كذلك على الترجمة العربية لهذا المصدر، والتي جاءت تحت عنوان:تاريخ ميخائيل السرياني، تاريخه، عربه عن السريانية، جريجورس صليبا شمعون، وقدم له يوحنا إبراهيم، ٣ج، حلب، ١٩٩٦م.

- **Raimundus de Aguilers،**

Historia Francorum qui Ceperunt Iheruselem.ed.R.H.C-H.occ.،tome III،Paris،1866.

واعتمدنا كذلك على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان: ريموناجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزيةة مع مقدمة وهوامش جون هيوج ولورينال هيل، ونقله إلى العربية، وعلق عليه د. حسين محمد عطية، الإسكندرية،(دار المعرفة الجامعية)، ١٩٩٠م.

- **Rothelin،**

Continuation de Guillame de Type Dite du Ma-nuscrit du Rothelin،ed. R.H.C-H.Occ.،tome II،paris،1859.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا المصدرر تحت اسم" تتمه كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان (١٢٢٩-١٢٦١م) ترجمة وتمثيل وتعليق د. أسامة زكي زيد، الإسكندرية، (مركز الدلتا للطباعة)، ١٩٨٩م

William of Tyre

A History Of Deeds done beyond the Sea،2Vols.،trans.،and annotated by Emily Babcock and A.C.Krey،New York،1943.

ولقد اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان" وليم الصوري" تاريخ الحروب الصليبية" ترجمة د. سهيل زكار، ٢ج، بيروت، ١٩٩٠م، انظر أيضا: ترجمة د. حسن حبشي، تاريخ الحروب الصليبية، ٤ج، القاهرة، ١٩٩٠-١٩٩٥م.

ثانيا: المصادر العربية

- ابن إياس (ت٩٣٠ه/١٥٢٣م):بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، ١٣٩٥ه/١٩٧٥م.

- ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م):١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٥٩هـ.
- ٢- فضائل القدس، تحقيق د. جبرائيل سليمان، دار الآفاق، بيروت، بدون تاريخ.
- ابن الداية المصري (ت ٣٤٠هـ/٩٥٤م):سيرة أحمد بن طولون، نشرها فولوز، فيمار، ١٨٩٥م.
- ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ابن دقماق (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م):الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، جزءان، القاهرة، ١٣٠٩هـ/١٨٠٣م.
- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):وفيات الأعيان، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): فوات الوفيات، بولاق، ١٢٩٩هـ.
- ابن شداد (ت٦٢٣هـ/١٢٣٤م):النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق د. جمال الشيال، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م.
- ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م): فتوح مصر وأخبارها، تقديم وتحقيق محمد صبيح، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ابن فضل الله العمري(ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ٢٧جزء، ١٥ مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.
- ابن ميسر (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م): تاريخ مصر، طبعة هنري ماسيه، القاهرة، ١٩١٩هـ.
- ابن مماتي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرةو ١٩٩١م.
- ابن واصل(ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م):مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق د. حسنين ربيع، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م
- أبو صالح الأرمني (ت في القرن ٦هـ/١٢م): تاريخ أبو صالح الأرمني المعروف باسم كنائس وأديرة مصر، جزءان، مطبعة أكسفورد، ١٨٩٥م.
- البلاذري (ت٢٠٧هـ/٨٧٠م): فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
- البلوي المصري (ت٣٣٠هـ/٩٤١م): سيرة أحمد بن طولون، حققها وعلق عليها محمد كرد علي، دمشق، ١٣٥٨م.
- السيوطي(ت٩١١هـ/١٥٠٥م):حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٧م
- الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- المسبحي (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م):أخبار مصر في سنتين، تحقيق وليم ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.
- المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢م.
- المقدسي (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٨٧م
- المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): اتعظا الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، ج١، نشر د. جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٤٨م، ج٢، ٣، نشر د. محمد حلمي أحمد، القاهرة، ١٩٧١-١٩٧٣م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ١٩٥٩م.
- ناصر خسرو علوي (ت٤٨١هـ/١١٨٨م): سفر نامة، ترجمة يحي الخشاب، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- اليعقوبي (ت٢٤٨هـ/٨٧٩م): كتاب البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
- ساويرس بن المقفع (ت٢٧٧هـ/٩٨٧م) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، ترجمة إلى الإنجليزية، عزيز سوريال عطية، القاهرة، ٢٠١٦
- يحي بن سعيد الأنطاكي (ت٤٥٩هـ/١٠٦٦م): تاريخ أنطاكية، تحقيق عمر عبد السلام، بيروت، ١٩٩٠م.
- يوحنا النقيوسي (ت٨١هـ/٧٠م): تاريخ مصر رؤية قبطية للفتح الإسلامي، ترجمة د. عمر صابر عبد الخليل، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- يوسوبيوس القيصري: تاريخ الكنيسة تعريب القمص مرقص داوود، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٩م.

ثالثا: المراجع العربية:

- إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، ٥ أجزاء، القاهرة، الطبعة الثانية،و ٢٠٠٦م.
- جاك تاجر: أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي حتى عام ١٩٢٢م، ج١، القاهرة، ٢٠١٢م
- جوزيف نسيم: العرب والروم واللاتين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠١٧م.
- حسن على إبراهيم: مصر في العصور الوسطى، الطبعة الرابعة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٤م.
- رمزي تادرس: دائرة المعارف القبطية، ١٠ أجزاء، مطبعة صادق، المنيا، مصر، بدون تاريخ.
- زبيدة عطا الله: قبطي في عصر إسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٧م.
- سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٢م.
- سيدة إسماعيل كاشف:

١- مصر في عصر الأخشيدين، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠م
٢- مصر في عصر الولاة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

-عارف باشا العارف: تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٥١م
- عمر طوسون: وادي النطرون ورهبانه وأديرته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م
- كامل صالح نخلة: تاريخ سعيد بن كاتب الفرغاني، مقال منشور في مجلة التوفيق، العدد العاشر، القاهرة، ١٩٣٩م.
- لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية، مطبعة المقتطف، المقطم، القاهرة، ١٩٢٥م.

محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة على مصر، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

- منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- موقع الأبنا تكلا، دائرة المعارف المسيحية
- يعقوب نخلة روفيلة: تاريخ الأمة القبطية، ط١، مطبعة التوفيق، القاهرة، ١٨٩٨م
- يواقيم (رزق): تاريخ الكنيسة القبطية من القرن ١٥ إلى القرن ١٩م، القاهرة، ٢٠١٧م

رابعاً: المراجع المعربة:

١- أ.ل.بتشر، تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، ترجمة جريدة مصر، مطبعة الفجالة، القاهرة،١٩٠٠
٢- إدوارد هاردي: مصر المسيحية كنيسة وشعبا، ترجمة عبد الجواد سيد، القاهرة، ديسمبر ١٩٥١م.
٣- بتلر (ألفريد): فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، القاهرة، ١٩٤٦م.
٤- ستانلي لين بول: تاريخ مصر في العصور الوسطي، ترجمة وتحقيق وتعليق أحمد سالم سالم، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠١٦م.
٥- عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحق عبيد، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦- نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د. حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، القاهرة، ١٩٥٠م/١٣٦٩هـ.

خامساً: المراجع الأجنبية

-AzzizAtiya،-TheCopticContributiontoChristian Civilization،Alexandria،1993
-History Of Eastern Christianity Alexandria،2001
- Butler،A.،The Arab Conquest Of Egypt،Oxford،1900.
-Cambridge History of Islam،2Vols،2007.
-Camo،juan Eduarde،Encyclopedia Of Islam،Isban،2009،p.116.
-George،Khou،Advant of Islam And Chistian،Oxford،1993.
-Lane Pool(S)،The Story of Cairo،1971.
-Margan Robert History of The Coptic Orthodox people and the Church Of Egypt،Lodon،1960
-Norman،F.Contor،Medieval History، The Life And Death Of Civilization، New York،1969
-Peter،G.،Study Of The Christian Conversion، Cambridge University،press،2008
-Samuel Shah، Christianity freedom،2Vols،Cambridge university،1955
-Smith،J.A، The First Crrusade،and idea Of Crusading،London،1952.
-The Coptic Encyclopedia،1991.
-The Encyclopedia Britanncia،U.S.A،1978.
- Wetthuller، Kurt،j.،Coptic Identity، and politician in Egypt، 1218-1252،London،2019